الإمام
محمد متولي الشعراوي

جامع البيان في العبادات والأحكام

المجلد الأول

جمع المادة والتبويب
منشاوى غانم جابر
المراجعة وكتابة الحواشي
فكرى أحمد الشافعى

دار الندوة

جامع البيان

في

العبادات والأحكام

بسم الله الرحمن الرحيم

دار الندوة
للنشر
والتوزيع

٣٣ ش إسماعيل أباظة ـ لاظوغلى ـ ت : ٣٥٥٧٩٧٥
القاهرة ـ ج . م . ع

رقم الإيداع : ٥٣٣٩ / ١٩٩٦
الترقيم الدولى : I.S.B.N : 977 -5582 - 18 - 0

كلمـــة الناشـــر

ولنا فى البدء كلمة صدق ..

باسم الله، والحمد لله، الذى لا يُحمد سواه، لمـا له من نعم لا تعد ولا تحصى فإنه نعم الهـادى ونعم المعين، عليه توكلنا وإليه أنبنا فيما نسعى إليه فى رحلة الحيـاة الفانية، آملين برحمته ـ سبحانه وتعالى ـ أن نكون فى معية الذين لا تظلهم إلا رحمة الرحمن الرحيم خلوداً فى دار البقاء، فذلك قول الحق جل وعـــلا.. ﴿ وَإِنَّ الدَّارَ الآخِـــرَةَ لَهِيَ الْحَـيَـوَانُ ﴾(١).

وبعـــد...

ففضيلة الإمام محمد متولى الشعراوى إمام دعاة المسلمين، وهب حياتـه، وسنى عمره التى لا تحسب بسنوات ميلاده فهى مئات ومئات لما قـدمه من نفع للناس كل الناس منهم من اهتـدى، ومنهم من أمسك بزمـام الصـراط. فـدعـوة الإمـام الشعراوى هى دعوة صالحة من بستان الهداية، فقد

(١) سورة العنكبوت: من الآية ٦٤.

أدرك واستوعب هذه الدعوة التى ترتكز على الحجة والمنطق، داعيًا إلى ربه بالحكمة والقول الحسن أيقنها كل الحيارى الذين كانوا فى ضالتهم مع زخرف الحياة اللاهية فى بعد عن منهج الحق سبحانه وتعالى.

وفضيلة الإمام محمد متولى الشعراوى قدم لنا كل معونة ومساعدة وتبصير فيما آلينا به على أنفسنا فى سبيل أن ندون فكره وكلماته سواء فى إصداراتنا السابقة أو عند إعداد هذا الكتاب الجديد الذى سنصدره بإذن الله فى أجزاء إلى كل محبيه ومريديه، فهذا الكتاب بإذن الله لا يكون فى غنى عنه كل مسلم ومسلمة، وكل محب لفكره، باسلوبه العذب الرقراق الذى تفرد به دون سواه.

والداعية الإسلامى الجليل فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى هو بدون شك من الأبدال إذ أنه..

* خزانة علم كالبحر الزاخر باللؤلؤ والمرجان.

* مجلسه جامعة علم ومعرفة فى أمور الدين والدنيا.

* قمة فى تواضع العلماء، تاركًا بريق الدنيا الزائف، فكله غيرة على دينه الحنيف.

وتشرف «دار الندوة» أن تصدر للإمام محمد متولى الشعراوى هذه الموسوعة الإسلامية فهى من فكر الإمام فى دعوته الخالصة لله، وذلك لما يعلمه فضيلته من أسرار كنوز القرآن وسنة رسوله الغراء ﷺ ليوضح لنا نحن محبيه للمنهج الإيمانى القويم الذى يسير عليه الإنسان المسلم فى الحياة الدنيا طريقًا ودربًا إلى دار الخلود. فقد تفضل فضيلته بالنشر ملتزمين معه بكل توجيه مما يجعل لعملنا هذا كل الأهمية والقيمة، فلولا الإرشاد والتوجيه منه لما كان لنا هذا التوفيق الذى نحمد الله عليه.

وقد التزمنا عند إخراج هذه الموسوعة بالأمور التالية..

- أن يكون تبويب الكتاب فى تقسيمات راعينا فيها سهولة الوصول إلى الموضوع المراد البحث فيه فى سهولة ويسر.
- الضبط والتخريج للآيات القرآنية.
- كذلك تخريج الأحاديث القدسية والنبوية وشرحها مع ذكر السند الصحيح لها.
- الصياغة الواجبة لعظمة مادة الكتاب ـ وأجزائه ـ بما يتلاءم مع رونقها وأهميتها.

● الشرح والتوضيح لما تتطلبه المسائل الفقهية لأجزاء الكتاب.

ومضمون هذا الكتاب:

«جامع البيان في العبادات والأحكام»

يعرض بالشرح والتوضيح لكل من: العبادات والأحكام، التي شرعها الله سبحانه في كتابه الكريم ﴿ ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾(١) فهو المنهج الحق من الله تعالى القائل: ﴿ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾(٢) وأيضاً ما تضمنه سنة رسوله ﷺ ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا ﴾(٣) وذلك لتوضيح المنهج الإيماني للإنسان المسلم بإيضاح سلس بعيداً عن فلسفة المجتهدين، كل ذلك بأسلوب الإمام الداعي إلى الله سبحانه القائل: ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ﴾(٤).

وهذا الكتاب الذي تصدره «دار الندوة»

---

(١) سورة البقرة: من الآية ٢.

(٢) سورة البقرة: من الآية ٣٨.

(٣) سورة الحشر: من الآية ٧.

(٤) سورة النحل: من الآية ١٢٥.

بفضل الله ومعونته فيه من المنهج الإسلامى الذى يشتمل على أقسام عدة هى:

الأول : العبادات .

الثانى : الحدود .

الثالث : الأحوال الشخصية والمواريث .

الرابع : الأخلاق .

وهذه الأقسام يوضح فيها الإمام الأوامر والنواهى التى شرعها الحق سبحانه.

.. وبعد: عزيزى القارئ .. فهذا العمل الكبير سوف يتسع بإذن الله لأكثر من مجلد على امتداد الأجزاء التى ستصدر تباعًا وتستبدل بكل مجلد يحتوى أجزاءه.

وكلمة شكر واجبة منا نقدمها لكل..

- **من ساهم بجهد وافر على جمع وتبويب مادة الكتاب.**
- **من ساعد على أن يكون الكتاب مرجعًا هامًا توضيحًا للمنهج كما يجب أن يكون عليه.**
- **ومن ساعد على الإخراج الفنى ليكون فى أكمل وأجمل صورة تعظيمًا لفضيلة الإمام:**

محمد متولى الشعراوى

فجزى الله الجميع بما يجزى به المؤمنين الصادقين العاملين وإنه على ما يشاء قدير، وبالإجابة جدير، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وعن جابر رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال:

«إن أصدق الحديث كتاب الله، وأحسن الهدى هدى محمد، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة فى النار»[1] ...

---

(١) البدعة.. بدعتان: بدعة محمودة، وبدعة مذمومة. فما وافق السنة فهو محمود وما خالف السنة فهو مذموم، والمحدثات.. ضربان: ما أحدث مما يخالف كتاباً أو سنة أو أثراً أو إجماعاً، فهذه البدعة.. الضلالة، وما أحدث فيه من الخير لا خلاف فيه لواحد من هذا، وهذه محدثة غير مذمومة. من ذلك كتابة الحديث نهى عنه عمر وطائفة من الصحابة، ورخص منها الأكثرون، ومنها كتابة الحديث والقرآن كرهه قوم من العلماء ورخص فيه كثير منهم.

والسنة: كل ما جاء عن الرسول ﷺ قولاً أو فعلاً أو إقراراً.

الحديث رواه الشيخان والنسائى (جامع العلوم والحكم ص ٥٣).

ولا أقول: إننى فى عملى هذا قد وفِّيْتُ بالمراد، ولكننى اجتهدت ومعى كل من شارك فى هذا العمل على قدر طاقتنا، فلعلنا نكون قد وافقنا الصواب، فإن كنا قد أصبناه فهذا فضل من الله ذى الفضل العظيم، فنحن بشر شأننا الخطأ والنسيان.

ثم نتضرع إلى الله سبحانه أن يكسو عملنا هذا ثوب الإخلاص، وأن يُجَمِّلَه بحُلَّة القبول منه سبحانه، فهو أكرم مأمول..

نسأل الله تعالى أن ينفع بعملنا هذا العباد، إنه سميع مجيب ...

وأخيراً وليس آخراً قول الحق سبحانه وتعالى:

﴿ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ﴾ (١) صدق الله العظيم.

وعلى الله كل التوفيق.

الناشر

محاسب

على أحمد عبد الغنى سالم

(١) سورة التوبة: من الآية ١٠٥.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

المحمود هو الله جل جلاله، والمُصلّى عليه محمد ﷺ وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعـــــــــد ...

فقد شرفنى أستاذى الجليل وشيخى فضيلة الإمام داعية الإسلام الشيخ: **محمد متولى الشعراوى** بأن أكون جامعًا ومعدًا لمادة بعض كتبه وهى:

* الزواج والطلاق.
* الكبائر فى القرآن الكريم.
* الفضيلة والرذيلة.

وهذه الكتب الثلاثة شرفت بإصدارها «**دار الندوة**».

ثم هذا الكتاب:

«جامع البيان فى العبادات والأحكام»

وهذا الكتاب الجديد يهدف إلى أمور:

الأول: أن تختلط العقيدة بالسلوك، فلا يكون السلوك آليا أو نفعيا، بل تكون العقيدة من وراء هذا السلوك ـ سلوك المسلم ـ فلا يقول المؤمن إلا ما يعتقد، ولا يفعل إلا ما اقتنع به.

الثانى: تربية الإرادة الخيِّرة .. فالحلال بيِّن، والحرام بيِّن[1]، فمن قصد الخير لاقاه، ومن عرف الشر جافاه.

وهذا الكتاب بيان واضح لأركان الإسلام والعبادات والأحكام والحدود، وهى التى شرعها الله ـ سبحانه ـ وسنها رسوله ﷺ.

ففى ذلك دعوة للناس كيف يرعون حرمات الأنفس والأموال والأعراض، وكل ما ينبغى أن يفعله المسلم من صيانة لحقوق الغير.

والله أسأل لمن يقرءون هذا الكتاب أن ينتفعوا به حتى تطمئن نفوسهم لعقيدتهم الإسلامية، ويقبلوا على عبادة الله ليذوقوا حلاوة الإيمان، لما فى العبادات وغيرها من خير فى الدنيا والآخرة، ثم ليسيروا فى الحياة طبقًا للمنهج على نسق يراقب فيه الله فى كل قول وعمل.

وأن يكون ما يرد فى الكتاب دستوراً لهم فيما يعملون وما يقولون.

---

(١) فعن أبى عبد الله النعمان بن بشير رضى الله تعالى عنهما قال:
سمعت رسول الله ﷺ يقول:
«إنَّ الحلاَلَ بيِّنٌ وَإنَّ الْحرَامَ بيِّنٌ وَبيْنَهُمَا أمُورٌ شبيهاتٌ، لا يعلمهن كثيرٌ منَ النَّاسِ، فمنِ اتقى الشبهات فقد استْبرأ لدينه وَعِرْضه، وَمَنْ وقع فى الشبهات وَقَعَ فى الحرامِ: كالمرَّاعِي يَرْعى حَوْلَ الْحمَى يوشك أنْ يَرْتَعَ فيه، ألاَ وإنّ لكلِّ ملك حمىً ألاَ وَإنَّ حمَى الله مَحَارِمه ألاَ وإن فى الْجَسَدِ مُضْغَةً إذا صلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كلُّه، وَإذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجسدَ كُلُه ألاَ وَهِيَ القلب».
رواه البخارى ومسلم.
(من كتاب جامع العلوم والحكم لزين الدين أبى الفرج عبد الرحمن بن شهاب البغدادى طبعة دار المعرفة بيروت ـ لبنان).

وبذلك يتحقق للمجتمع المسلم العقيدة السليمة والعبادة الصحيحة، والمعاملات التى تتلاءم مع هذه العقيدة لنمو أخلاقهم .. أخلاق المسلمين كما أرادها الله سبحانه وتعالى ...

والله ولى التوفيق

منشاوى غانم جابر
ذو القعدة ١٤١٦هـ
مارس ١٩٩٦م

القسم الأول

العبادات

الباب الأول

- الفصل الأول : المدخل
- الفصل الثانى : ما هو الإسلام؟
- الفصل الثالث : ما هو الإيمان؟

الفصل الأول

المدخل

المفهوم والجوهر

العبادة (١) كلمة معناها: كل ما ورد فيه أمر إلهى، أو جاء به نهى، فإذا نظرنا إلى كل الأوامر والنواهى لوجدناها تستوعب كل نشاطات الحياة من قمة الشهادة بأنه **لا إله إلا الله، إلى إماطة الأذى عن الطريق**، لأن منهج الله يهدف إلى إبقاء الصالح على صلاحه أو زيادته ليكون أصلح.

وكلمة العبادة تشمل كل نشاطات الحياة، فهى أمر لما يجب أن يُفعل، ونهى لما يجب أن يُترك، وما لم يرد فيه أمر إلهى أو نهى فأنت بالخيار فى أن تفعله أو لا تفعله. فإذا أحصينا ما نؤتمر به، وما نهينا عنه فى منهج الله سبحانه وتعالى بالنسبة لنشاطات الحياة، فإننا نجدها لا تتجاوز الخمسة فى المائة من هذه

(١) العبادة: فى اللغة: الطاعة، والتَّعبُّد: مَعْناهُ: التَّنَسُّكُ.. أمَّا الْعَابِدُ فهو الخاضع لِربِّه الْمستسلم المنقاد لأمره فمعنىّ «اعْبُدُوا ربَّكمْ» أى أطيعوا ربكم (لسان العرب ـ مادة عبد).

النشاطات، ولكن هذه النسبة ـ الـ ٥٪ ـ هى التى تنظم حركة الحياة كلها، ونحن نقول إن الإسلام بنى على خمس.. فإياك أن تفهم أن الخمس هى الإسلام كما يريد خصوم هذا الدين أن يصوروه، فإنهم يريدون أن يصوروا هذا الدين على أنه عبادة فقط تتم داخل المسجد.. فهل إذا خرجت من المسجد فلا أوامر أو نواهٍ لهذا الدين؟!!.. من العبادات صلوات تؤديها، وزكاة تدفعها، وصوم، وحج إذا استطعت، بشرط أن يكون هذا كله تحت مظلة.. لا إله إلا الله، وأنَّ محمداً رسول الله. هذا هو معنى العبادة الذى يحاول أن يُشَوِّهَه خصوم الإسلام، نقول: لا، إن بناء الإسلام على خمس، كما جاء فى حديث: «بُنى الإسلام على خمس» هى الأعمدة التى يقوم عليها الإسلام. لكن الإسلام أشمل وأوسع من ذلك، وإنه استدامة الولاء لله سبحانه وتعالى، والحرص على كل متطلبات أنشطة الحياة.

القَدْرُ المعلوم:

وإذا نظرت إلى حركة الحياة تجد أن المطلوب فيها علم دين، وعلم دنيوى. فعلم الدين مطلوب من الجميع، أما العلم الدنيوى فليس مطلوباً من الجميع، ولكن المطلوب جزئية منه لكل إنسان فى الدنيا. كل إنسان مطالب بأن يَعْلَمَ أمور دينه، ولكن ليس مطلوباً منه أن يدرس الهندسة والطب والتجارة، بل كل فرد له ناحية واحدة من كل هذه العلوم يتخصص فيها، والبعض قد لا يحتاج إلى أى فرع من فروع العلم الدنيوى طوال حياته.

إذن أعمال الحياة شىء، والقاسم المشترك فى الحياة هو الدين، وهو شىء

آخر لأنه لا بد أن تعرف كيف تصلى، وكيف تزكى، وتعرف ما نهانا الله عنه، وما أمرنا به، فبدون هذا لا تكون لنا حياة بمعناها الصحيح. ولكن كثيراً ما تجد إنساناً لا يعرف شيئًا عن الدين يتكلم ويفتى فيه، نقول له: إن الفتوى محتاجة لأهل علم فى الدين، فيقول: إن الدين للجميع.. أى التدين للجميع. علم الدين لا بد أن نلجأ فيه إلى أهل الذكر والذين هم أهل علم، ولذلك يقول الحق سبحانه وتعالى:

﴿فَلَوْلا نَفَرَ من كُلِّ فِرْقَةٍ منْهُمْ طَائفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِى الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ﴾[1].

ومن هنا فإن كل مسلم محتاج إلى ما هو معلوم من الدين بالضرورة لكى يعبد الله سبحانه وتعالى، ويعرف ما أمر به، وما نهى عنه. ولكننا لا يمكن أن نطالب كل مسلم أن يدرس كتاب المواريث، والعَصَبات[2]، وأصحاب الفروض[3]، وميراث ذوى الأرحام[4]، ومخارج الفروض[5]،

(١) سورة التوبة: من الآية ١٢٢.

(٢) العصبات جمع عاصب ـ وميراثه بعد أصحاب الفروض وعند انفراده يحوز جميع التركة وإن لم يبق من التركة شيء بعد الفروض فلا شيء له إذا كان العاصب غير الابن، وبيان ذلك يوضح فى علم المواريث.

(٣) أصحاب الفروض هم: الأب، الجد الصحيح، وأولاد الأم، الزوج، الزوجة، بنات الصلب، بنات الابن، الأخوات الشقيقات، الأخوات لأب، الأم، الجدات.

(٤) ذوو الرحم هم: كل قريب ليس بصاحب فرض ولا عصبة... كأولاد البنين، بنات الأخ، وكالعمة والخالة.

(٥) مخارج الفروض: هى أن يتصالح الورثة على إخراج بعضهم من الميراث فى نظير شيء معلوم من التركة.

والْعَوْل[1]، والرَّد[2]، لأنه قد تمر حياته كلها دون أن يحتاج إلى قضية من هذه القضايا. فإذا تعرض لقضية من هذه القضايا فإنه يذهب إلى أولى العلم كما يذهب المريض إلى الطبيب، وصاحب القضية إلى المحامى، فالذى يريد أن يبنى منزلاً يذهب إلى مهندس. كذلك مطلوب منك فى علم الدين هو أن تعلم ما أمرك الله سبحانه به وما نهاك عنه، وما فرضه عليك سبحانه. فعليك أن تسأل أهل الذكر.. أهل العلم التعلم..

﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾ [3].

العبادة إذن هى أن يطيع العابد معبوده سبحانه وتعالى، هذه الطاعة يلزم منها أمر ونهى، فالأمر ننفذه، وما نهى عنه نتجنبه. والعبادة ليست هى أداء الفرائض فقط، والعبادة إذن تحتاج إلى قوة من أجل أن أصلى مثلاً.. هذه القوة تأتى من تناول الغذاء ــ الأكل والشرب ــ فإذا نظرنا إلى الدورة التى يمر بها رغيف العيش حتى يصل إليك لتأكله فنجد أن الفلاح يزرع القمح ثم يروى، ثم يسمد، ثم يحصد ويدرس، وغيره يطحن، ويعجن، ويخبز ليصبح رغيف عيش فيؤكل.. فكم من الجهد أخذته اللقمة، وكم احتاجت من تكاليف؟.. إذن كل حركة الحياة عبادة. أننا نريد أن تصلى فلا بد من ستر العورة، فستر العورة يحتاج إلى ثوب من

---

(١) العول: لغة الميل إلى الجور. واصطلاحاً: الزيادة فى عدد أسهم أصحاب الفروض، والنقص فى مقادير أنصبائهم.

(٢) الرد: هو صرف الباقى من الفروض إلى ذوى الفروض النسبية بنسبة فروضهم عند عدم وجود العاصب ولا يرد على الزوجين (الوجيز فى الميراث على المذاهب الأربعة).

(٣) سورة النحل: من الآية ٤٣.

القماش، هذا القماش يبيعه لك تاجر التجزئة الذى اشتراه من تاجر الجملة الذى اشتراه من شركات الغزل والنسج التى أخذت القطن من المحالج، والمحالج أخذت القطن من الحقول، هذا القطن أُنظر كيف زرعه الفلاح وما بذله من جهد بالرى والسماد والمبيدات وغير ذلك.

إذن كل شيء يعينك على عبادة الله، هو عبادة لله سبحانه وتعالى، فكل حركة فى الكون تؤدى إلى شيء من هذا فهى عبادة لله. والله سبحانه وتعالى حين استدعى خلقه لصلاة الجمعة قال:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ﴾(١).

إن الله سبحانه لم يأخذ هذا الأمر من فراغ، وإنما أخذه من العمل فذكر البيع بالذات، لأن البيع هو وسيلة التعامل بين المنتج والمستهلك فالله سبحانه لم يقل: اتركوا المصانع، أو الحقول، أو الدروس، ولكنه قال: ﴿ وَذَرُوا الْبَيْعَ ﴾ لأن الزروع لا تؤتى ثمارها فى حينها، فنزرع المحصول وننتظر ستة أشهر حتى ينضج ويأتى ثماره. لكن البيع صفقة سريعة، فلماذا لم يذكر الله سبحانه الشراء وذكر البيع؟.. قالوا: لأن البائع يحب أن يبيع، لكن المشترى قد يشترى وهو كاره، فأتى سبحانه بأدق شيء يربطك بالزمن ذلك بأن الله أمرنا بالسعى فى جنبات الحياة لطلب الرزق بعد انقضاء الصلاة بالانتشار في الأرض للابتغاء من فضل الله سبحانه وبذلك يصبح كل عمل فى الحياة عبادة.

(١) سورة الجمعة: من الآية ٩.

الشــــمولية :

والعبادة فى جوهرها هى طاعة العابد للمعبود ـ وهو الله سبحانه وتعالى ـ فهى ليست إقامة لأركان الإسلام فحسب: كالشهادة، والصلاة، والزكاة، والصوم، والحج، وما دامت هذه هى الأركان والأسس التى يقوم عليها بناء الإسلام، فهذا يعنى أن الإسلام أكبر من الأركان. فالذين يحاولون أن يأخذوا من المصطلح التصنيفى أو المصطلح الفنى فى العلوم الدينية وهو مصطلح العبادات الذى يختص بأركان الإسلام، علينا أن نتنبه إلى أن كل أمر من الله يعد عبادة، لذلك فلا يقولن أحد: إننى أعبد الله وأنقطع إلى ذلك.. فنرد على مثل هذا القائل: إن العبادة هى طاعة عابد لأمر المعبود.. لكن هناك أمور أسماها العلماء باسماء العبادة لأنها أستدامة الولاء لمن نطيعه وهو الله سبحانه وتعالى.

وكما أوضحنا أن العبادة هى طاعة أمر، واجتناب نهى بحيث تكون صادرة ممن هو أعلى منا جميعًا، فلا يصح لمخلوق منا أن يعطى لغيره أمرًا فى عبادة معينة يخترعها هو، لأن الأمر لمساوٍ ـ لمن هو مثله ـ ليس فيه مرجع، وإلا فمن تأمره سيقول لك: لماذا أنت تأمرنى، وأنا أنفذ ما لم تنفذه أنت مع نفسك!!.. لكن حين يكون الأمر من أعلى وليس من مساوٍ فيكون له أمر الطاعة. ولذلك لو أن أخًا قال لأخيه: افعل كذا.. ويرفض هذا الأخ أن ينفذ الأمر، إذن فلا حرج، لكن لو جاء الأمر من الأب فسيكون التنفيذ سريعًا، لأن شأن الوالد أعلى من أولاده، فأوامره نافذة عليهم ومُقَدَّرةَ عندهم.. فمادام أعلى منى فلا أمتنع عن تنفيذ أمره، ولا تُنهى عن أمرٍ إلا إذا كانت هناك حجة قوية ومقنعة.

نحن إذن نفعل الطاعات لأن الله سبحانه أمرنا بها، ونبتعد عن المعاصى لأن الله نهانا عنها، فكل أمر أو ترك على الفعل، فيجب أن يكون مصدره من الحق سبحانه وتعالى، لأن الحق سبحانه يجب أن يطاع.

فعندما تنصاع لأمر الله سبحانه فهذا شرف عظيم لك أيها المخلوق الضعيف، فلا ضرر على أحد أن يتبع قول الحق وأوامره:

﴿ واعْبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِى الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِى الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالاً فَخُوراً ﴾[(1)].

فالله سبحانه وتعالى يأمر بعبادته وحده لا شريك له لأنه الخالق والرازق والمتفضل على جميع خلقه، إذن فهو المستحق منهم أن يوحدوه ولا يشركوا به شيئًا من مخلوقاته، كما قال رسول الله ﷺ لمعاذ:

«أتدرى ما حق الله على العباد؟».

قال: الله ورسوله أعلم.

قال: « أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا».

ثم قال: «أتدرى ما حق العباد على الله إذا فعلوا ذلك؟ ألا يعذبهم»[(2)].

(1) سورة النساء: الآية ٣٦.

(2) صحيح البخارى «كتاب الرقاق».

فأمره سبحانه لعباده بالعبادة واجب الانصياع كما وأن وصيته بالإحسان إلى الوالدين اللذين جعلهما الله سبحانه سببًا لخروجك من العدم إلى الوجود واجب الانصياع، ثم عطف سبحانه على الإحسان إلى الوالدين الإحسان إلى القرابات من الرجال والنساء، كما جاء في الحديث:

«الصدقة على المسكين صدقة، وعلى ذى الرحم صدقة وصلة»(1).

أما الذين لم ينصاعوا لأوامر الله سبحانه ما أمرهم به من عبادته وحده، واتبعوا الشيطان فإنه يأتيهم يوم القيامة ويقول لهم:

﴿إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنفُسَكُم مَّا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ﴾(2).

فأنتم ضالون بطبعكم وليس لدى قوة أقهركم بها على المعصية،ولا حجة أقنعكمْ بها، إنما أنتم الذين أحببتم المعصية فاتبعتم شهواتكم، فلن أنفعكم، ولن تنفعونى فلوموا أنفسكم ولا تلومونى. والذين اتبعوا الشيطان يعبدون من دون الله ما ليس له سلطان عليهم، وليس لهم به علم.

إذن العبادة لا بد وأن تكون بسلطان من الله نصًا قاطعًا وصريحًا لا يحتمل الجدل.

❑ ❑ ❑

(1) رواه ابن ماجه فى «كتاب الزكاة»

(2) سورة إبراهيم: من الآية ٢٢.

الفصل الثاني

ما هو الإسلام؟

١
المفهــوم

اللفظ في اللغة يَرِدُ لمعنى يسمى عند أهل اللغة المعنى الاصطلاحي له، فإذا نظرنا إلى كلمة الإسلام في اللغة لوجدنا أنها تعني القاء الزمام من المُسلِّم إليه ليُيسِّر له زمامه، على وفق ما يراه من اسلم إليه زمامه، ولكن الدين أخذ هذا اللفظ وجعله علَماً على إسلام من نوع خاص وهو أن سلَّمَ المخلوق زمامه لمن خَلَقَهُ ليؤتمر بأمره ولينتهي بنهيه.

والمسلم على إطلاقه هو الذي ألقى زمام حركته في حياته إلى غيره، ويعتقد في قدرته عنه في تصريف أمور حركه حياته، فليس من المعقول أن يسلم إنسان قادر زمامه لعاجز، وليس معقولاً أن يسلم عاقل زمام حياته لأهوج، وليس من المعقول أن يسلم عالم زمامه لجاهل. إذن لا بد للمسلم إليه أن يكون له القوة والقدرة والحكمة بالأمور.

والإسلام[1] هو منهج من السمـاء يراد به أن يسلم المـخلوق زمـامـه فى التوجيه لخالقه ـ وهو الله سبحانه وتعالى ـ فإذا نظرنا إلى الإسلام وجدناه أخذ معنى آخر، بأنه أصبح عنوانًا للدين الخاتم لأن هذا منتهى ما وصل إليه الإسلام لله، فلن يجىء شىء جديد بعد هذا الإسلام فصار قمة الإسلام لله دعا إليه الأنبياء والرسل جميعهم من آدم عليه السلام إلى محمد ﷺ.

* ديانة آدم إسلام لله.
* وديانة إبراهيم إسلام لله.
* وديانة موسى إسلام لله.
* وديانة عيسى إسلام لله.

فيكون بذلك ديانات كل الرسل والأنبياء هى الإسلام.

ولذلك ترددت هـذه اللفظة ـ الإسلام ـ على ألسنتهم جميعاً.

* فقد أخبر الله تعالى عن نوح أنه قال لقومه:

﴿فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلا عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾[2].

---

(١) الإسلام: هو لغة التسليم، والخضوع، والاستسلام لأى شىء حيًا كان أو معنويا، ويقال: فلان أسلم زمام أمره لفلان.
أما الإسلام فى اصطلاح المتكلمين يطلق على ما يقابل التصديق بالقلب أى العمل بالجوارح أخذًا من إجابة النبى عن الإسلام فقال: «**أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتى الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا**». رواه البخارى ومسلم وكما جاء فى الحديث «**بنى الإسلام على خمس....**».

(٢) سورة يونس : الآية ٧٢.

* وعن إبراهيم ـ عليه السلام ـ قول الله تبارك وتعالى:

﴿ وَمَنْ يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلاَّ مَن سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ * إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ * وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾(١).

* وعن يوسف ـ عليه السلام ـ قال: الله تعالى:

﴿ رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴾(٢).

* وعن موسى ـ عليه السلام ـ قال الله تعالى:

﴿ يَا قَوْمِ إِنْ كُنتُم آمَنتُم بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنتُم مُّسْلِمِينَ * فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لاَ تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾(٣).

* وعن عيسى ـ عليه السلام ـ قال تعالى:

(١) سورة البقرة: الآيات ١٣٠ / ١٣٢.

(٢) سورة يوسف: الآية ١٠١.

(٣) سورة يونس: الآيتان ٨٤ / ٨٥.

﴿ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴾ (١).

* وتلك هى وصية يعقوب لبنيه فى قول الله تعالى :

﴿ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ (٢).

* وكذلك على لسان سيدنا محمد ﷺ إذ قال:

﴿ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾ (٣).

فالإسلام مطلقًا يعنى أن يسلم المخلوق زمام أمور حياته لخالقه سبحانه. والإسلام دين جاء بلاغًا من الله ليجعلك تسلم حركة حياتك المقيدة بافعل، وتنتهى عن شيء مقيد بلا تفعل، ثم ترك بقية حركة حياتك حرة فى إطار لا ضرر ولا ضرار.

وإذا نظرنا إلى الإسلام بمعنى الانقياد، والانقياد يقتضى مسلمًا أى منقادًا، وكذلك يقتضى مسلمًا إليه.. أى منقادًا إليه، ويقتضى مسلمًا فيه وهو منهج الحياة وحركتها. إذن المنهج الذى يقود البشرية مفروض فيه:

أولاً : أن أثق فى هذا المنهج أنه صادر عن الله سبحانه وتعالى بدون دخل للبشر فيه، ولا تحريف.

ثانيــاً: أن يكون المنهج مستوعباً لكل قضايا الحياة.

ثالثــاً: أن لا يتعارض المنهج مع حقائق الكون العادية التى سوف تنتهى بها العقول.

(١) سورة المائدة: الآية ١١١.
(٢) سورة آل عمران : الآية ١٠٢.
(٣) سورة الأنعام: الآية ١٦٣.

رابعًا: أن تكون شعائر المنهج التى تأخذ الإنسان من حركة حياته إلى حركته بربه لا تستوعب منه ـ تستغرق ـ كل وقته.

إذن فإسلام الإنسان لمنهج السماء هو أحكم إسلام، وأعقل إسلام لأنه.. إسلام العاجز للقادر، وإسلام غير الحكيم للحكيم، وهو أمر لا يستدرك على حكمته، وإنما إسلام البشر للبشر قد يستدرك عليهم. فإذا كنا نريد أن نُسلم زمام حركتنا إلى أمر من أوامر الله، فلابد أن يكون المسلم إليه يقتنع الإنسان به أنه.. أعلى منه، وأقدر منه، وأحكم منه، وكل هذا هو من مرتبه الإيمان به.

الإيمان هو الحيثية أو العلة فى الإسلام.. الإيمان هو الينبوع الذى يصدر عن السلوك الموافق للمنهج، ذلك لأنه ـ الإيمان ـ هو الحيثية الجامعة للإنسان فى أن يُسلِّم زمامه لمن آمن به، ولذلك ﴿ **قَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا** ﴾(١).

وقد يكون هناك مؤمن بالله، ولكنه كسول عن منهج الإسلام، ولا يعمل عمل المؤمنين به، ولذلك الحق سبحانه يطلب منا أن نعلن إسلامنا فى العمل..

﴿ **وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ** ﴾(٢).

أى إننى أعمل هذا العمل لأننى مسلم، وانتهيت إليه بفكرى إلى الفلك الإيمانى الذى يدور فى المعتقدات والغيبات.

وإذا قيل: إن الإسلام ليس خاصًا بأمة محمد ﷺ ، ولكن الإسلام هو

---

(١) سورة الحجرات الآية: ١٤.

(٢) سورة فصلت : الآية ٣٣.

خاصية كل الرسالات السماوية نقول له: نعم، ولكنه إسلام وصف. والإسلام عند أمة محمد ﷺ أصبح علماً.. علم هذه الأمة ذلك قول الله سبحانه..

﴿هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ﴾(٣).

❊ ❊ ❊

(١) سورة الحج: الآية ٧٨.

٢
لا إكـــراه

الحق سبحانه وتعالى يرشد عباده المؤمنين وسائر البشرية بأنه: ﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾[1]. فما هو الإكراه؟

الإكراه هو أنك تُجْمِلُ الغير على فعل لا يرى فى فعله خيراً، فهو لا يرى هذا الخير فى الفعل المكره عليه بمنطق العقل السليم. ولكن هناك أشياء قد نفعلها مع من حولنا لصالحهم.. كأن ترغم أبناءك على المذاكرة، وهذا أمر لصالح الأبناء، وكأن نجبر الأطفال المرضى على تناول الدواء.. مثل هذه الأمور ليست إكراهاً، إنما هى أمور نقوم بها لصالح من حولنا.

الحق سبحانه وتعالى لم يكره خلقه، وهو خالقهم على دينه، فقد كان الله سبحانه قادراً على قهر الإنسان كما قهر السموات، والأرض، والنبات، والجماد،

(١) سورة البقرة: من الآية ٢٥٦.

ولم يكن للإنسان أى قدرة على الرفض، ولكن شاء الحق سبحانه وتعالى لقهر الإنسان دون أن يستطيع أن يعصى ذلك، وها هو الحق سبحانه يقول:

﴿ أَفَلَمْ يَيْأَسِ الَّذِينَ آمَنُوا أَن لَّوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعًا ﴾[1].

الله سبحانه وتعالى يريد أن من يأتيه يكون محباً مختاراً لا مقهوراً. القهر يثبت لله القدرة، وقد تجلت قدرته فى كل الاجناس، وفى كل جزء من العمليات الحيوية فى الإنسان، بينما ترك الحق سبحانه أجزاء أخرى فى جسم الإنسان مختاراً فيها حتى يثبت الحق سبحانه لنفسه صفة المحبوبية، فمن جاء محباً لله نال شرف محبته سبحانه.

الإنسان الذى يذهب إلى الإيمان طواعية، وهو قادر على أن لا يذهب.. فهذا دليل على الحب، والله سبحانه يعلمنا أنه: ﴿ لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ﴾[2] لأنه لو شاء لآمن كل من فى الأرض جميعاً، وشاء الحق سبحانه ألا يضع فى منهجة أى إكراه إنما اختار الرسل يحملون المنهج دون أن يجبروا أحداً على الإيمان ﴿ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾[3] إن أى رسول بما هو قادم من عند الله ينقل هذا المنهج ولا يكره أحداً على الإيمان، ولذلك فالحق سبحانه يقول للرسول ﷺ:

﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴾[4].

(١) سورة الرعد: من الآية ٣١.
(٢) سورة البقرة: من الآية ٢٥٦.
(٣) سورة الكهف: من الآية ٢٩.
(٤) سورة يونس: الآية ٩٩.

الرسول مهمته البلاغ عن الله، والله سبحانه لم يرد بخلقه الإكراه على التدين، ولذلك لا يستطيع الرسول أن يكره الناس إكراهًا على التدين، ولنا أن نتوقف هنا لنوضح لبسًا يحاول به بعض السطحيين أن يهربوا به من القيام بمتعلقات الإسلام.

ونوضح أن هناك فرقًا بين.. القهر على الدين، وبين القهر على مطلوب الدين، فالمسلم عندما يوصى أخًا مسلمًا يقول له: ما دمت مسلمًا فعليك بالصلاة.. قد يسمع أحدٌ هذه العبارة فيقول: لا إكراه فى الدين.. ولمن يقول هذا نوضح له: صحيح أنه لا إكراه فى الدين عقيدة وإيمانًا، وإنما إن أسلمت وأعلنت الإيمان بالله، ودخلت فى زمرة المسلمين فمن الواجب جماعة المسلمين أن تجبر تارك الصلاة على أدائها، وأن تطلب من كل من آمن بالله أن يؤدى مطلوب الدين.. أن الإنسان حرٌّ فى أن يؤمن أو لا يؤمن، لكن حين يلتزم الإنسان بالإيمان فلا بد أن يطبق مطلوبه، وذلك حتى لا يظن الآخرون أن تصرف هذا الإنسان هو من منهج الإسلام.

الإنسان قبل إعلان إسلامه حر فى أن يشرب الخمر، وحر فى أن يدمر نفسه كيفما شاء فيلقى عقاب الله على الكفر وهذا هو أشد الوان الضياع. أما عندما يعلن الإنسان إسلامه.. فإن شرب خمراً فلا بد أن نقيم عليه الحد، ولو كان هذا الحد هو الضرب.. لماذا؟ .. لأنه تعد على حد من حدود الله، والحق سبحانه لا يكلف الا الإنسان الذى بلغ الحُلُمَ فأصبح ناضج العقل والرشد بالبلوغ، ولا يستطيع أحد أن يقول أن الله قد طلب من أحد الإيمان به قبل أن ينضج عقله ويصل إلى سن الرشد. فالله سبحانه وتعالى لا يفرض الإسلام إلا على

الناضج العاقل البالغ، لأنه عندما يدخل هذا العاقل البالغ إلى الإسلام فهو يعلم مطلوبات الإسلام ويقدر عليها، فإن عصى فسوف يحاسب على عصياته، ولذلك فلا يقولن أحد على مطلوب الإسلام لمن دخل فيه: لا إكراه فى الدين، وأننا لا نقهر أحداً على الإسلام، ولكن من أعلن إيمانه فعليه تنفيذ مطلوبات الإسلام، فأين الإكراه فى الدين؟.. إن الحق سبحانه لا يكره أحداً على الإيمان به لماذا؟.. لأنه لا لبس فيه ولا غموض.

﴿ لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ﴾ (1).

لقد أوضح الحق سبحانه الرشد(2)، وأوضح الغى(3) فلا إكراه.

والأدلة على صلاح منهج الله لحياة الإنسان واضحة. والإنسان بعقله له الإختيار، فإن دخل فى الدين فعليه الالتزام بمطلوب الدين، وإلا حوسب إن لم يلتزم بمطلوبه، وعندما يدخل الإنسان إلى الدين فإنه يدخله دخول الواثق بأن هذا هو الدين الحق، والدخول إلى هذا الدين الحق سيترتب عليه إتباع أحكامه، ذلك أن الرشد هو طريق النجاة، والغى هو طريق الهلاك.

(1) سورة البقرة : الآية ٢٥٦.

(2) الرشد : إصابه وجه الأمر والطريق.

(3) الغى: نقيض الرشد، ومعناه الضلال والسفه (معجم الفاظ القرآن الكريم).

الفصل الثالث

ما هو الإيمان؟

١
المعنى

الإيمان[(١)] هو التصديق الجازم لأمر ما، أى أنه أمر لا يشك فيه الإنسان، أو قد يطفو إلى الذهن، أمر ليناقشه الإنسان من جديد، ذلك أن التصديق غير الجازم وغير المؤكد هو الذى يطفو إلى الذهن ليعيد الإنسان مناقشته من جديد. أما الايمان فهو التصديق الجازم المطلق، ولهذا نسمي الايمان بأنه العقيدة.

(١) **الإيمان في اللغة** مصدر آمن: ومعناه التصديق قال تعالى حكاية لقول إخوة يوسف لأبيهم: ﴿ **وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين**﴾ أى ما أنت بمصدق لنا حين حدثناك أن الذئب أكل يوسف.
ومعناه **في الشرع**: تصديق القلب تصديقاً جاذماً بكل ما جاء عن النبى ﷺ فيما علم مجيئه من الدين بالضرورة. وهذا التصديق محله القلب. وذلك بعد العلم والمعرفة بالعقل فالإيمان بمعنى التصديق يرادف الاعتقاد، ومتعلق الإيمان والاعتقاد يسمى عقيدة، فالتصديق بوجود الله اعتقاد، ووجود الله عقيدة ... (بيان للناس من الازهر الشريف ص ١١٨).

وإذا أردنـا أن نعـرف معـنى العقيـدة، لاتضح لنا أنها ربـاط معـقود مُوثّقْ لا يمكن أن يحله أحد لأنه مُوثّقْ وقوِى وغير هش.

وعندما نبحث أثر الإيمان بالتفصيل فى الحياة على أساس أنه تصديق جازم بقضية لا يمكن أن تطفو إلى الذهن لتناقش من جديد، فعند مناقشة الإيمان بهذا الفهم فإننا نجد أن الإيمان لازم لنا فى أدق تفاصيل حياتنا مثل، ولله المثل الأعلى..

* إيمان طالب عندما يجتهد فى دروسه أنه سوف ينجح ويختار الكلية التى تناسب طموحه.

* إيمان الأب عندما يرعى الله فى عمله فسيكون رزقه حالاً ويعود على أهله بالنفع والخير.

* وعلى مستوى الدولة التى تخطط لنفسها مستقبلاً ناميًا على أسس واضحة، لا يمكن لهذا التخطيط أن يصل إلى التطبيق الناجح إلا إذا فهم كل فرد دوره فى هذا المستقبل، فإن لم يثق بذلك، ولم يُؤْمِنْ به فلا خطة، ولا نمو.

إننا نرى أثـر الإيمان كتصـديق جازم فى حـركـة الحيـاة الجزئية، حيث لا تنتظم حركة الحياة الا بإيمان يقينى بأمور هذه الحياة.. فما بالنا بالأمر الكلى العام الذى يسيطر على الكون فى الحياة الدنيا من معاملات وثواب وعقاب، والأمر الكلى العام لا بد له من إيمان جازم مصدق موثق حتى يستقر الكون، وتنتظم حركته، وحركة الإنسان فيه بانسجام كما أن التصديق الجازم بوجود الله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقضاء والقدر خيره وشره هو الذى

يعمق الانسجام بين الإنسان والكون. والذى يفسد على الناس إيمانهم هو أنهم يُدْخِلُونَ فى الإيمان ما ليس فيه، ذلك أن الإيمان الحقيقى هو الايمان بالغيب المطلق، فيعرض الحق سبحانه وتعالى لهذه القضية فى قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام فيقول:

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَى وَلَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾(١).

والإيمان الحقيقى هو الإيمان بالغيب المطلق كيف؟.. فى رواية عن سيدنا

(١) سورة البقرة : آية ٢٦٠، وقد ذكر العلماء لسؤال إبراهيم عليه السلام ربه له أسبابا منها: أنه لما قال لنمروذ : ﴿ رَبِّىَ الَّذِى يُحْيِي وَيُمِيتُ ﴾ أَحَبَّ أن يترقّى مِنْ علم اليقين فى ذلك إلى عين اليقين، وأن يرى ذلك مشاهدة فقال ﴿ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتَى قالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قال بَلَى ولكن لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ﴾.

وقد اختلف المفسرون فى هذه الأربعة ما هى؟ فروى عن ابن عباس أنه قال: هى الغرنوق (والفرنوق: طائر مائى أسود) والطاووس، والديك، والحمامة، وعنه أيضا: أنه أخذ وزًا، ورألا (وهو فرخ النعام) وديكا، وطاووسا. وقال مجاهد وعكرمة: كانت : حمامة، وديكا، وطاووسا، وغرابا.

﴿ فَصُرْهُنَّ إليك ﴾ أى قطعهن.

و﴿ عزيز ﴾ : أى لا يغلبه شىء، ولا يمتنع منه شىء. وما شاء كان بلا ممانع لأنه العظيم القاهر لكل شىء.

و﴿ حكيم ﴾ فى أقواله وأفعاله وشرعه وقدره.

عمر بن الخطاب ﷺ قال: بينما نحن عند رسول الله ﷺ ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يُرَى عليه أثر السفر، ولا يعرفه منا أحد حتى جلس إلى النبى ﷺ، فأسند ركبتيه إلى ركبتيه ووضع كفيه على فخذيه وقال:

يا محمد أخبرنى عن الإسلام؟.

فقال رسول الله: الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتى الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً.

قال الرجل: صدقت.

فقال عمر: فعجبنا له، يسأله ويصدقه.

قال الرجل: فأخبرنى عن الإيمان؟.

قال ﷺ: أن تؤمن بالله وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره.

قال الرجل: صدقت.. فأخبرنى عن الإحسان؟.

قال الرسول: أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك.

قال: صدقت، فأخبرنى عن الساعة؟

قال الرسول: ما المسئول عنها بأعلم من السائل.

قال الرجل: فأخبرنى عن أَمَارَاتِهَا؟

قال الرسول: أن تلد الأمة ربتها ـ سيدتها ـ وأن ترى الحفاة العراة العالة ـ جمع عائل وهو الفقير ـ رعاء الشاء ـ الغنم ـ يتطاولون فى البنيان.

قال عمر: ثم انطلق فَلَبِثَ ملياً.. ثم

قال الرسول: يا عمر أتدرى من السائل؟.

قال عمر: الله ورسوله أعلم.

قال الرسول: فإنه جبريل أتاكم يُعَلِّمَكُمْ دينكم(١).

فكيف تكون الكتب السماوية والرسل من علم الغيب؟.. الكتب السماوية غيب لأنه لا يوجد أحد منا رأى كيف نزلت الكتب على الرسل، أو كيف هبط الوحى من السماء على كل رسول من الرسل. أيضاً رسول الله ﷺ كان لا يعرف أمر اختياره إلا لحظة أن أوحى الله إليه بالرسالة، والرسل رغم أن بلاغهم واضح لنا عن الخير والشر، والمنهج الذى يقود به البشرية إلى إتباعه، فرغم هذا البلاغ الواضح فإن جميعه من أمر الغيب.

إنه وقر فى القلب:

وهذه الحصيلة الإيمانية عندما تملأ الوجدان والقلب وتصبح عقيدة، وترتفع إلى مرتبة التصديق الجازم. وبذلك يكون كل سلوك انسانى له منبعه الايمانى فى القلب، ووعى بالايمان فى العقل، وبذلك يكون كل سلوك له منبعه الإيمان

(١) رواه الخمسة، وزيد فى رواية أخرى «**خمس لا يعلمهن إلا الله**» ثم تلا النبى ﷺ ﴿**إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ**﴾ ثم أدبر فقال ردوه فلم يروا شيئًا فقال: «هذا جبريل جاء ليعلم الناس دينهم».

في القلب فليس الإيمان بالتمني، ولكن ما وقر في القلب وصدقه العمل، إن قومًا ألهتهم أماني المغفرة حتى خرجوا من الدنيا ولا حسنة لهم وقالوا نحن نحسن الظن بالله وكذبوا لو أحسنوا الظن لأحسنوا العمل وذلك تأكيداً لما قاله له سيد البشر محمد في وصف الإيمان بأنه «ما وقر في القلب وصدقه العمل».

نحن نعرف أن الإيمان بالله، وكل ما يتعلق به لا بد أن يكون غيبًا، فلا يوجد إيمان بمحس أبدًا، لأن الأشياء المحسة لا تدخل ضمن الإيمان لأنها مشهودة، وعناصر الإيمان بغيبيته هي:

أولاً: إيمان بالملائكة (١)، وهو غيب عن خلق الله، البشر فقد بلَّغنا الله أن له خلقًا هم الملائكة، بذلك عرفنا أن الله ـ سبحانه ـ خلق الملائكة، وهم لا يعصون الله ما أمرهم، ويفعلون ما يؤمرون.

ثانيًا: إيمان بالكتب السماوية والرسل، فقد يقول قائل: هل الرسل غيب، وهي الكتب السماوية غيب؟.. إن الرسل بشر، والكتب مشهودة. ومثل هذا القائل نقول: لا يوجد إنسان منا قد رأى الكتاب وهو يتنزل عن الرسول.. وهذا يعني أن عملية الوحي للرسول بالكتاب غيب يعلمه الله سبحانه ويؤمن به المؤمنون، وقد يقول قائل: كيف نؤمن بكل الرسل ولا نفرق بين أحدهم؟

(١) **الملائكة**.. أجسام لطيفة نورانية قادرة على التشكل بأشكال مختلفة في أشكال حسنة، شأنها الطاعة، وسكنها السموات غالبا، ومنهم من يسكن الأرض ﴿**يسبحون الليل والنهار لا يفترون**﴾ و ﴿**لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون**﴾ لا يوصفون بذكورة ولا بأنوثة فمن وصفهم بذكورة فسق، ومن وصفهم بأنوثة كفر لمعارضته قوله تعالى: **﴿وَجَعَلُوا الْمَلائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ﴾** سورة الزخرف: الآية ١٩.

الرسل المبلغون، عن الله سبحانه يبلغون منهجًا فيه العقائد التى لا تختلف بإختلاف العصور وفيه الأحكام التى تختلف باختلاف العصور، ومواقع القضايا فيها إذن فالأصل العقدى فى كل الرسالات أمر واحد.

﴿لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ﴾[1].

ففى حركة الحياة تختلف أقضية الحياة، وحين تختلف أقضية الحياة فإن الحق سبحانه وتعالى ينزل التشريع المناسب، لكن الأصل واحد، والبلاغ من الخالق الذى لا إله إلا هو.

نحن إذن لا نفرق بين الرسل فى أنهم يبلغون عن الله بما تتفق فيه مناهج التبليغ من ناحية الإعتقاد، وما تختلف من ناحية الأحكام التى تناسب أقضية كل عمل فقالوا:

﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾[2].

ذلك السماع هو بلوغ الدعوة والطاعة.. هى انفعال بالمطلوب، ذلك يمتثل أمرًا ونهيًا فى كل أمر يتعلق بحركة الكون.

❊ ❊ ❊

(١، ٢) سورة البقرة : من الآية ٢٨٥.

٢
الإيمان بالله ورسله

الحق سبحانـه وتعالى يريد أن يجعل من قضية الايمان قضية كليه واحدة لا أبعاض فيها، فليس الايمان بالله وحده كافيًا لأن يكون الانسان مؤمنا.. لماذا؟.. لأن مقتضى أن تؤمن بالله يحتاج إلى رسول يعرفك بأن القوة التى خدمتك وسخرت لك الكون اسمها... الله، فأنت أيها الانسان لا تهتدى الى معرفة اسم هذه القوة الخالقة لك الا بواسطة رسول منزل من عند الله سبحانه.. فمن أين تعرف إذن اسم القوة الخالقة لك لولا مجىء الرسول؟

إن كل عمل العقل هو من الإستنباط العقدى، وهو أن الإنسان يجد نفسه فى كون، وهذا الكون له سبق الوجود، والإنسان قد طرأ على هذا الكون المنظم، فكان من الواجب على الإنسان أن يلتفت لفتة ليعلم القوة التى سبقت هذا الوجود حتى طرأ هو على وجود متكامل.

الإنسان يسمع من أبيه مثلاً أن هذا البيت بناه الأب أو الجد، أو فلان ابن فلان، ولكن لم يسمع الإنسان أحداً يقول: ومن بنى السماء[1]؟.. ولم يسمع أحداً يقول: ومن خلق الشمس[2]؟.. مع أن الناس تدعى لنفسها ما ليس لها به علم.. فكيف يترك أعظم ما فى كون الله بدون أن تعرف من أوجده؟.. بينما أن الأمر التافه أو الهام نسبيًا فى حياة البشر يؤرخون له فنجد دراسات عن تاريخ الأحجار، ونجد دراسات عن تاريخ صناعة الأشياء مثال الميكروفون.. الذى فكر فيه فلان، وأول من صممه فلان.. وهكذا، كذلك تاريخ المصباح الكهربى إخترعه أديسون، وقام بتوليد الكهرباء من مصادر بسيطه.. وباختصار نحن نجد أن كل شئ فى هذا الوجود له تاريخ، وهذا التاريخ يرجع الشئ إلى أصل وجوده.

ولكل بنِى الانسان نقول: اذا نسيت أى صنعة مهما كانت هامة أو تافهه فستجد أنها صنعة تلقاها واحد عن واحد، ولم يبتكرها هو دفعة واحدة، بل كل مبتكر أخذ ما انتهى إليه سابقه وبدأ عملا جديداً، وهكذا فمن يصدق أن مصباحًا يضىء للإنسان، ثم يصنع غيره الانسان.. وهكذا. أما الشمس التى لم تخفت، ولم تضعف، ولم تنطفئ ولم تحترق فلا يحاول أحد أن يعرف تاريخها، والمصباح ينير خيراً بسيطاً بينما الشمس تنير كوناً بأكمله.. ألا تحتاج الشمس الى إنسان يفكر فى تاريخها؟.. لقد كان يجب أن نفكر.

(١) السماء ـ هى الجهة التى تعو الأرض وتظهر فيها النجوم والكواكب قال تعالى **﴿والسماء بنيناها بأيد وإنا لموسعون﴾** سورة الذاريات: الآية ٤٧.

(٢) الشمس : هى ذلك الكوكب المشتعل الذى يمد الأرض بالضوء والحرارة – قال تعالى **﴿فالق الإ صباح وجعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا ذلك تقدير العزيز العليم﴾** سورة الأنعام : الآية ٩٦.

والإنسان حينما ينظر إلى الكون نظرة..

* بعيدة عن فكرة الدين،
* وبعيداً عن بلاغ الرسل،
* وكيفية الخلق،
* ومنهج الهداية،

فالانسان يقول لنفسه أن الناس تختلف مقاديرها باختلاف مراكزها وقوتها فيما يفعله الناس، فهناك إنسان يجلس على كرسى مصنوع من الخشب أو الجلد، وهناك من يجلس على حصيرة.. ذلك أن الانسان يعيش بصناعات البشر، وباختلاف قدره ومكانته.. فالريفي أو البدوى يشعل النار بإحتكاك حجرين من الصوّان ويحتفظ بهما، وعندما يرتقى فى إستخدام النار فهو يستخدم ـ مسرجة ـ وبإزدياده تحضراً فهو يستخدم مصباح الكيروسين ـ لمبة الجاز ـ له أرقام حسب شدة إضائتها، وعند الارتقاء يستخدم ـ الكلوب ـ واذا إرتقى أكثر إستخدم الكهرباء ولمبات النيون، ثم الطاقة الشمسية وهكذا.

إذن اذا ظهرت الشمس.. شمس الله(١) فنورها يغنى عن أى نور، وفى الليل الانسان يحاول أن تكون حالة الكهرباء فى منزله جيدة خشية أن ينقطع أحد الاسلاك فيظلم المكان. فما بالنا بالشمس التى لا يحدث لها مثل ذلك. والانسان يجب أن يرقى الى فهم طلاقة قدرة الحق سبحانه، وهذا ما يحدث للذهن البشرى بدون أن يأتى رسول الله إليهم.

وأسماء القدرة الخالقة لهذا الكون لا يعرفها الانسان بالعقل، ولكن أسماء

(١) ﴿هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك إلا بالحق يفصل الآيات لقوم يعلمون﴾ سورة يونس : الاية ٥.

القدرة الخالقة يعرفها الانسان بواسطة الرسل، فذلك اسم ﴿الله﴾ فهو اسم توقيفي. إذن فكيف يتأتى فهم قول هؤلاء:

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا * أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾(١).

ذلك أن هؤلاء سيؤمنون بالله، ويكفرون برسله!!.. فكيف عرفوا إذن أن القوة التي سيؤمنون بها إسمها الله؟.. إذن لابد أنهم عرفوا ذلك من خلال رسول بعثه الله سبحانه اليهم.

إذن الإيمان بالله إنما يأتي بعد بلاغ من الله ليقول اسمه لمن يؤمن به، لكن هل الإيمان بالله كقوة خفية قوية ومبهمة وعظيمة يكفي؟.. أم أن الانسان لابد له أن يفكر في هل تطلب منه هذه القوة شيئا أم لا؟.. وإذا كانت هذه القوة تطلب من الانسان أن يسير على منهج معين.. فمن الذي يُبَلِّغْ بهذا المنهج؟.. لا بد إذن من رسول خَفَي إسم هذه القوة.. رسولاً يبلغنا به، وفي مطلوبات هذه القوة من الانسان للسير على المنهج. هذا الرسول المبلغ(٢) عن الله، يشرح لنا كيفية طاعة هذه القوة. إذن فلا يستطيع أحد أن يفصل الإيمان عن الرسول وإلا كان إيماناً بقوة مبهمة، ولا يجترئ صاحب هذا اللون من الإيمان أن يقول أن

(١) سورة النساء: الآية ١٥٠، ١٥١.

(٢) ﴿يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك﴾ سورة المائدة : الآية ٦٧.

اسم هذه القـوة ـ الله ـ فـلا بد لهـذا الاسم أن يحتـاج إلى بلاغ من رسـول. وعندما يسمع أحدنا من يقول: أنا أؤمن بالله، ولكن الإيمان بالرسل لا!!.. فعلينا أن نقول له: هذا أول الذلل العقلى، لأن الإيمان بالله يقتضى الايمان ببلاغ ما جاء به الرسول. إذن لا يُفْصَلْ الإيمان بالله عن الإيمان بالرسول لأن معرفة الله والإيمان به يسلتزم رسولا يخبرنا ما ينبغى معرفته عنه سبحانه وتعالى.

والحق سبحانه وتعالى خلق آدم عليه السلام بعد أن خلق الكون كله وبقية المخلوقات، ونحن لا نجد من يدعى أن آدم هو أول من عمـر هذا الوجـود، وما دام ذلك فى منطق العقل واحداً، ولكنه عند القياس فمن الممكن أن نقول إن هناك خلقًا كثيرون قد سبقوا آدم فى الوجود. ولكن آدم هو أول الجنس البشرى، فعندما خلقه علمه الأسماء(١) كلها حتى يستطيع أن يسير فى هذا الوجود، فإنه إن لم يستطع أن يتعلم الأسماء لما إستطاع أن يتحدث مع ولد من أولاده.

وعلى سبيل المثال: انظر هل أشرقت الشمس أم لا.. إذن كان ضرورياً لآدم من معرفة الأسماء كلها ـ أسماء الاشياء ـ فلا بد هناك من علمه إياها، لأن اللغة بنت المحاكاة، فلا أحد يستطيع أن يتكلم كلمة واحدة الا بعد أن يكون قد سمعها الفرد منا.. سمع من أبيه، والآباء سمعوا من الأجداد، وهكذا تتوالى المسألة الى أن تصل إلى آدم، فمن سمع آدم يتكلم؟.. هذه مسألة يجب أن يعترف بها كل إنسان عاقل، وهى أن الذى سمع آدم يتكلم بأول كلمة لا بد أنه الله سبحانه. الذى قال: ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ﴾(٢)..

(١) ﴿وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئونى بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين﴾ سورة البقرة : الآية ٣١.
(٢) سورة البقرة من الآية ٣١.

إنه اذن كلام منطقى بالإحصاء الاستقرائى، وهذا الكلام له منتهى الصدق لأن الإنسان منا عندما يعلم ابنه الكلام، فهو لا يعلمه الأفعال، لكن يعلمه أسماء الأشياء مثل: كوب، منضدة، طبق، وغيره من أسماء الأشياء، ذلك أن الذى يتعلمه الطفل أولا هو الأسماء، فهذه هى الخميرة الأولى، ثم بعدها تأتى المزاولات والممارسات ليتعلم الإنسان الأفعال.

❊ ❊ ❊

٣
متطلبات الإيمان

الله سبحانه وتعالى خلق فى البشر الخيرية، وهذه الخيرية لها مواصفات، فإن أحببتم أن تُعلّموا خيريتكم للناس فهذه هى ..

* الأمر بالمعروف.
* النهى عن المنكر.
* والإيمان بالله.

وذلك مصداقًا لقول الحق سبحانه:

﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾[1].

(١) سورة آل عمران: من الآية ١١٠ .. روى الإمام أحمد فى مسنده عن درة بنت أبى لهب قالت: قام رجل إلى النبى ﷺ وهو على المنبر فقال: يا رسول الله، أى الناس خير؟ فقال: خير الناس أقرؤهم وأتقاهم لله، وآمرهم بالمعروف، وأنهاهم عن المنكر، وأوصلهم =

وهذه الخيرية إن تَخلَّفَ منها عنصر من العناصر انحلت عنهم الخيرية، ذلك أن الخيرية كما أوضحنا هي: الأمر بالمعروف، والنهى عن المنكر، والإيمان بالله.

والمعروف هو ما يتعارف عليه الناس ويتفاخرون به، ويسر كل إنسان أن يعرف ذلك عنه الآخرون. والمنكر هو الذى ينكره الناس ويخجلون منه ولا يحب واحد أن يعرفه أحد عنه، كأن مظاهر الخير يحب كل إنسان أن يعرفها الآخرون عنه. كذلك مظاهر الشر ينكرها كل إنسان.

مظاهر الخير محبوبة ومحمودة حتى عند المنحرف، ومظاهر المنكر مذمومة ومكروهة أيضًا حتى عند المنحرف.. واللص نفسه عندما يوجد فى مجلس من المجالس ولا يعرفه فيه أحد، ويسمع أن فلانًا قد سرق، فإنه يعلن استنكاره لفعل هذا اللص الآخر: إنه أمر منكر.. حتى وإن كان هو يفعله.

المعروف والمنكر يخضعان لتقدير الفطرة، والفطرة السليمة تأتى للأمور الخيرة وتجعلها متعارفًا عليها بين الناس. والفطرة السليمة تنكر الأمور المنكرة حتى ممن يفعلها.

والله سبحانه يورد الإيمان به من بعد الأمر بالمعروف، والنهى عن المنكر.. لماذا؟.. لأنه من الجائز أن يوجد إنسان له صفات الأريحية والإنسانية، ويأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر، ويصنع الخير، ويقدم الصدقات، ويقيم مؤسسات

= للرحم. وهذه الآية عامة فى جميع الأمة، كل قرن بحَسَبه، وخير قرونهم الذين عث فيهم رسول الله ﷺ ثم الذين يلونهم، كما قال سبحانه فى الآية الأخرى **﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطا﴾** أى خيار **﴿لتكونوا شهداء على الناس﴾**.

رعاية الآخرين سواء صحية أو اقتصادية لكنه يفعل ذلك من زاوية نفسه الإنسانية لا من زاوية منهج الله.. فهذا يكون كل ما فعله حابطًا، وكذلك فلا تظن أن الذى يصنع الخير دون إيمان بالله له أجر عند الله. لكن الله يجازى كل من كان يؤمن به، ويكون الله سبحانه فى باله وهو يصنع الخير. فمن صنع خيراً من أجل الشهامة والإنسانية والجاه والمركز والسمعة فأنه ينال أجرة ممن عمل له، وما دام قد صنع ذلك من أجل أن يقال عنه ذلك فقد قيل وهو ما يقول عنه رسول الله ﷺ: «فعلت ليقال وقد قيل».. بذلك أنه قد نال جزاء عمله من قول الناس.

أما الله سبحانه فإنه يجازى من كان فى وجدانه الله ساعة أن عمل، ولذلك يقول الحق سبحانه:

﴿ وَمَنْ أَحْسَنَ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾[1].

فمهما فعل الإنسان من الخير فإن خيانته للألوهية تفسد كل عمل، والذى يعمل خيراً من أجل أحد فلينل منه جزاء هذا العمل. إذن فالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر هو إيمان بالله، ولنا أن نسأل: ما الذى يجعلهم لا يؤمنون بالله وإن عملوا معروفًا؟.. إن الإجابة على هذا السؤال هى: أن الذى يجعلهم يأتون المعروف، مع عدم إيمانهم بالله هو حرصهم على الجاه الزائف.

ولما جاء الإسلام ظن أهل الجاه فى الديانات التى عاصرت الإسلام، أن الإسلام جاء ليهيمن عليها فظنوا أن الإسلام سيسلبهم الجاه والسلطة والمكانة

(١) سورة فصلت: الآية ٣٣.

والمنافع التى كانوا يحصلون عليها، فكان من حماقة بعضهم أن باعوا الجنة على الأرض. وخافو على المركز والجاه والمنافع، وكان ذلك غباءاً منهم لكن:

﴿ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾(1).

ذلك أن بقاء الجاه والسلطة يكون فى ضوء الإيمان بالله، فلا تجارة بالذين وكانوا سيحصلون على أجرهم مرتين..

* أجر فى الدنيا،

* وأجر فى الآخرة.

ولكن أهل الكتاب هل كفروا؟.. لا، إن بعضهم قد آمن، والحق سبحانه يؤرخ لهم تأريخًا حقيقيًا بأن وصف بعضهم بالإيمان، وغيرهم من أبناء ملتهم بالكفر.

الحق سبحانه وتعالى عندما يتكلم يورد كل كلمة بمنتهى الدقة المناسبة، ذلك أن هناك فرقًا بين أن تكفر وليس عندك مقدمات الإيمان وأدلته، أو أن تكفر وعندك مقدمات الإيمان كقراءة التوراة والإنجيل. لقد قرأ أهل الكتاب التوراة والإنجيل ورأوا الآيات البينات وعرفوا البشارات، لذلك فهم عندما كفروا

(1) سورة آل عمران: من الآية 110.. لما مدح الله سبحانه وتعالى هذه الأمة فى صدر هذه الآية الكريمة شرع فى ذم أهل الكتاب وتأنيبهم فقال **﴿ولو آمن أهل الكتاب﴾** أى بما أنزل على محمد ﷺ **﴿لكان خيرا لهم منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون﴾** أى قليل من يؤمن بالله وما أنزل إليكم وما أنزل إليهم، وأكثرهم على الضلاله والكفر والفسق والعصيان.

برسول الله فسقوا أيضاً عن الكفر.. هم فاسقون، لأن مقتضى هذا وهم يملكون البشارات والآيات أن يعلنوا الإيمان برسالة رسول الله ﷺ فالإنسان منهم ليس كافراً عادياً بل هو فاسق حتى فى الكفر.

ولنا أن نسأل: ماذا يفعل المؤمن منهم مع الفاسق منهم؟.. سيتربص الفاسقون وهم الأكثرية بالأقلية المؤمنة منهم حتى تنال هذه الأقلية المؤمنة الأذى والضرر، لكن الحق سبحانه يطمئن هذه الأقلية من أضرار الأكثرية أن لا يظنوا أن الأكثرية الفاسقة قادرة على إنزال العذاب بهم، ومثال ذلك عبد الله بن سلام اليهودى الذى أسلم عن إقتناع. لكن الحق سبحانه يعلن أن محاولة الأكثرية لا تزال للضرر بالأقلية التى آمنت منهم فهذا لن يتجاوز الأذى.

الإيمان طريق للهداية :

الله سبحانه وتعالى حين يهدى، فهو يهدى(١) من يشاء ويضل من يشاء، ففى ذلك يضع الله القوانين الموضحة للهداية أو الضلال، ونحن عندما نسمع: أن الله هَدَىَ.. فلنفهمها على معنين..

* المعنى الأول.. أنه دل.

---

(١) قال تعالى ﴿مَن يَهْدِ اللهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِى وَمَن يُضْلِلْ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ الأعراف الآية: ١٧٨.

إن من هداه الله فإنه لا فضل له، ومن أضله فقد خاب وخسر، فإنه تعالى ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن وهذا المعنى جاء فى حديث ابن مسعود: إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل الله فلا هادى له. وأشهد أن لإله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله. (تفسير ابن كثير)

* المعنى الثانى.. أنه أعان ومَكَّنَ.

ففى أن الله هدى ما يعنى أنه دل، وأعان ومكن، وسبق أن ضربنا فى ذلك المثال الحسى الذى أكرره حين يتطلب الأمر توضيحاً وهو: هناك إنسان يسير فى الطريق، ويريد الذهاب إلى الاسكندرية وهو لا يعرف الطريق الموصل إليها، فسأل شرطى المرور فأشار الشرطى: هذا هو الطريق الموصل إلى الاسكندرية.. هذا الشرطى هَدَى هذا الإنسان ودله على الطريق، ولكنه لم يحمل الإنسان فى أن يسير فى هذا الطريق، وصديقه السائل قال للشرطى: إننى أشكرك، وأكثر الله من خيرك، والحمد لله إننى وجدتك، فلولا وجودك لما عرفنا الطريق.. فيقول الشرطى: أنت رجل طيب، وهذا الطريق الموصل إلى الاسكندرية به مطب وعقبات، سأركب معك حتى أدلك على مكان هذه العقبة.. وهنا يتجاوز الشرطى مرحلة الدلالة إلى مرحلة المعونة.

الحق سبحانه الذى يهدى الناس جميعًا، فالذى يقبل على الإيمان بالله، فسيعاونه الله على ذلك، ولذلك يقول الحق سبحانه: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى﴾(١).. أى دلهم الله سبحانه، إما أن يسلكوا سبل الهداية أو لا، فالأمر متروك لهم. ذلك أن:

* الهداية تعنى الدلالة.

* والهداية تعنى الإعانة.

(١) سورة فصلت: من الآية ١٧.. ﴿وأما ثمود فهديناهم﴾ أى بصرناهم وبينالهم، ووضحنا لهم الحق على لسان نبيهم صالح ﷺ فخالفوه وكذبوه وعقروا ناقة الله التى جعلها آية وعلامة على صدق نبيهم فبعث الله عليهم صيحة ورجفة وذلاً وهوانا وعذابا ونكالا.
(تفسير ابن كثير).